التبيين
في معاني
سورة يس

أ.د. السيد عبد الحليم محمد حسين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التبيين
في معاني
سورة يس

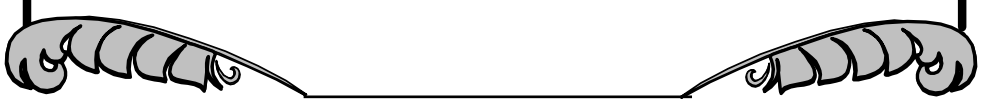

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

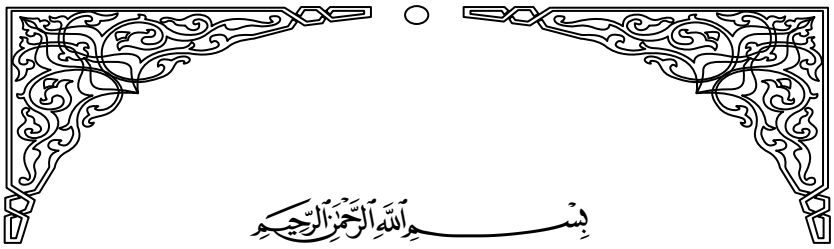

أولاً معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
﴿يسٓ﴾	بيان أن القرآن مصوغ من جنس هذه الأحرف.
﴿ٱلْحَكِيمِ﴾	المحكم، أو المشتمل على الحكمة.
﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	طريقة مستقيمة، وهي طريقة الأنبياء الذين تقدموه ﷺ.
﴿تَنزِيلَ﴾	أي، القرآن.
﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾	وهم قريش.
﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾	لقد ثبت وتحقق الحكم أَزلاً بالعذاب.
﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	بإنذارك إياهم وهو إصرارهم على الكفر وموتهم عليه.
﴿أَغْلَٰلًا﴾	قيودًا عظيمة.
﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾	رافعون رؤوسهم مع غض أبصارهم لا يستطيعون أن يطأطئوها لوصول الأغلال إلى أذقانهم.
﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾	أي: منعناهم عن الإيمان بموانع، فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر إلى الإيمان، كالمضروب أمامه وخلفه بالأسداد.
﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾	غطينا أبصارهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾	إنذارًا نافعًا مستتبعًا أثره.
﴿ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾	اتبع القرآن.
﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ﴾	نحصي ما أسلفوا من الأعمال الصالحة أو الفاسدة في حياتهم.
﴿وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾	ما أبقوه من الحسنات التي لا ينقطع نفعها بعد الموت، أو السيئات التي يبقى أثرها بعد موت صاحبها.
﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾	أثبتناه وبيناه.
﴿إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾	أصل عظيم يقتدي به. قيل: هو اللوح المحفوظ، أو صحائف الأعمال.
﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾	أغفلها الله لتكون مثلاً لكل قرية تكذب الرسل.
﴿فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾	فقوينا الرسالة برسول ثالث، وشددنا به أزرها.
﴿تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾	تشاءمنا بكم.
﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾	أي شؤمكم منكم وهو استدامتكم على الكفر، أو سبب شؤمكم منكم لا منَّا.
﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۡۚ﴾	أئن وعظتم وخوفتم سوء عاقبة أعمالكم تطيرتم.
﴿مُّسۡرِفُونَ﴾	مجاوزون الحد في مخالفة الحق.
﴿رَجُلٞ﴾	هو حبيب بن موسى النجار، كان يعبد الله في غار، فلما سمع بخبر الرسل جاء يسعى.
﴿يَسۡعَىٰ﴾	يعدو مسرعًا حرصًا على نصح قومه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿فَطَرَنِي﴾	خلقني من العدم بقدرته.
﴿لَّا تُغۡنِ عَنِّي﴾	لا تدفع عني.
﴿فَٱسۡمَعُونِ﴾	أي اسمعوا قولي واقبلوه، ولما صرح بالإيمان بعد إخفائه قتلوه.
﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾	بشّرته ملائكة الموت عند قتله من أعدائه بأنه سيدخل الجنة في الآخرة. أو بدخول روحه فيها وطوافها بها كأرواح الشهداء.
﴿صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾	وهي صوت مهلك من السماء صاح به جبريل عليه السلام.
﴿خَٰمِدُونَ﴾	ميتون لا يُسمع لهم حسّ كالنار الخامدة التي صارت رمادًا.
﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾	يا غمًّا وتندّما على تكذيبهم للرسل.
﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾	ألم يعلموا.
﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾	كثيرًا أهلكنا.
﴿مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾	من الأمم السابقة.
﴿أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾	لا يعودون بعد هلاكهم.
﴿وَإِن كُلّٞ﴾	ما كل واحد منهم.
﴿لَّمَّا جَمِيعٞ﴾	إلا مجموع.
﴿لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ﴾	نحضرهم مجموعين للحساب والجزاء.
﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ﴾	دليل لهم على قدرته تعالى على البعث.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾	الجدباء القاحلة.
﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾	بالبينات، ونزول المطر عليها.
﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾	شققنا في الأرض.
﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾	أي، لم يعملوا الثمر، وإنما الفاعل له هو الله وحده، أو ليأكلوا مما عملته أيديهم، وصنعوه بسواعداهم كالعصير والدبس وغيره.
﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾	الذكر والأنثى من الحيوان والنبات، أو أنواع المخلوقات وأصنافها.
﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾	أي ننزع عنه النهار فتظهر الظلمة.
﴿مُّظْلِمُونَ﴾	داخلون في الظلام.
﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾	مكان استقرارها رأى العين وهو أفق الغروب.
﴿قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾	أي قدرنا سيره في منازل لا يتعداها.
﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾	كالعود اليابس في عذق النخلة.
﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ﴾	لا يجوز لها ولا يصح.
﴿وَلَا ٱلَّيْلُ﴾	أي، ولا آية الليل وهو القمر.
﴿سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾	أي، سابقة آية النهار وهي الشمس.
﴿فَلَكٍ﴾	مسار على شكل دائرة.
﴿يَسْبَحُونَ﴾	يسيرون في الفضاء سيرًا منتظمًا.
﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾	أولادهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿ٱلْفُلْكِ﴾	السفن.
﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾	الحامل لأشيائهم.
﴿وَمَتَٰعًا﴾	تمتعهم به في الحياة الدنيا.
﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾	لا مغيث لهم من الغرق.
﴿وَمَتَٰعًا﴾	نمتعهم به في الحياة الدنيا.
﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾	إلى وقت الموت.
﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾	ما حلّ بالأمم الماضية من العذاب.
﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾	أي عذاب الآخرة.
﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾	من آيات القرآن، أو من دليل على صدق الرسالة.
﴿إِنْ أَنتُمْ﴾	ما أنتم.
﴿ٱلْوَعْدُ﴾	يوم القيامة.
﴿مَا يَنظُرُونَ﴾	أي ما ينتظرون.
﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾	نفخة واحدة وهي نفخة الموت.
﴿تَأْخُذُهُمْ﴾	تقهرهم.
﴿يَخِصِّمُونَ﴾	يتنازعون فيما انهمكوا فيه من شؤون الدنيا غافلين عن الآخرة.
﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾	نفخة البعث بعد الموت.
﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾	أي القبور.
﴿يَنسِلُونَ﴾	يخرجون مسرعين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾	يا هلاكنا، عبارة تندم وحسرة.
﴿مَنۢ بَعَثَنَا﴾	من أيقظنا.
﴿مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾	من منامنا، وقد أظنوا أنهم كانوا نياما لاختلاط عقولهم بما شاهدوا من الهول، وما دخلهم من الفزع.
﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾	رجعوا إلى أنفسهم فاعترفوا أنهم كانوا ميتين وبعثوا للحساب.
﴿وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾	اعترافهم بصدق الرسل فيما أخبروهم به.
﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾	وهي نفخة إسرافيل لبعثهم بعد الموت.
﴿جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٥٣﴾	مجموعون لدينا للحساب والعقاب.
﴿شُغُلٖ﴾	نعيم يشغلهم عما سواه.
﴿فَٰكِهُونَ﴾	منَّعمون متلذذون في النعمة.
﴿ٱلۡأَرَآئِكِ﴾	السرر.
﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾	ما يطلبون أو ما يتمنون.
﴿وَٱمۡتَٰزُواْ﴾	انفردوا وتميزوا وانفصلوا عن المؤمنين.
﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ﴾	أوصيكم أو أكلفكم.
﴿أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾	ألا تطيعوه وتتبعوه.
﴿جِبِلّٗا﴾	خلقا.
﴿ٱصۡلَوۡهَا﴾	ادخلوها أو قاسوا حرها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾	نمنعهم من الكلام.
﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾	أذهبنا أعينهم وتركناهم عميا لا يبصرون طريق الهدى.
﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾	سارعوا إلى الطريق ليجتازوه.
﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾	فكيف يبصرونه وقد طمسنا على أعينهم.
﴿لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾	بدلنا خلقهم وصورتهم الآدمية إلى صور حيوانية قبيحة.
﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾	في أمكنتهم، أو مع اعتدادهم بمكانتهم وقوتهم.
﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾	فلا يقدروا على المضي أمامهم أو الرجوع وراءهم.
﴿نُعَمِّرْهُ﴾	نطل عمره.
﴿نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾	نغير خلقه فنبدله بالقوة ضعفًا، وبالشباب هرمًا، وبالعقل خرفًا.
﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾	لا يصح له ولا يتأتى منه.
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾	عظة وتذكير لصاحب العقول.
﴿حَيًّا﴾	عاقلاً أو مؤمنًا ينتفع بالموعظة.
﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	تجب كلمة العذاب على الكافرين.
﴿أَنْعَٰمًا﴾	الإبل والبقر والمعز والضأن.
﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾	صيرناها منقادة مُسخّرة لهم.
﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾	أي، منها ما يركبون عليها، ومنها ما يأكلون لحمه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿وَمَشَارِبُ﴾	يشربون منها لبنا حليباً. ولبناً رائباً، وغير ذلك مما يحصل من ألبانها.
﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ﴾	أي، وآلهتهم من الأصنام جند لهم.
﴿مُّحْضَرُونَ﴾	يُحضرُون معهم إلى النار ليحرقوا فيها جميعًا.
﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾	أي، لا تحزن بسبب قولهم: إن هؤلاء الأصنام آلهتنا، وإنهم شركاء لله.
﴿خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾	مبالغ في الخصومة، والجدل في الباطل، ظاهر متجاهر في إنكار البعث مع علمه بأصل خلقه.
﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾	أي، أورد في شأننا قصة هي كالمثل في الغرابة، وهي إنكار إحيائنا العظام.
﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾	نسى أن الله قد أوجده من العدم متقلبا في أطوار شتى حتى صار إنسانًا سويًّا.
﴿رَمِيمٌ﴾	بالية أشد البلى.
﴿بَلَىٰ﴾	أي بلى هو قادر على خلق مثلهم.
﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾	إنما شأنه سبحانه إذا تعلقت إرادته بشيء من الأشياء أن يقول له كن، فإذا هو كائن.
﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾	أي، مالك كل شيء ملكًا تامًّا، وزيدت الواو والتاء للمبالغة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيًا: المعاني العامة

- بناء أسس العقيدة.
- طبيعة الوحي، وصدق الرسالة.
- تحذر من عاقبة التكذيب بالوحي والرسالة.
- قضية الألوهية والوحدانية.
- قضية البعث والنشور.
- مصارع الغابرين على مدار القرون.
- المشاهد الكونية الكثيرة المتنوعة.
- الآيات لا تنفع من حقت عليهم كلمة الكفر.
- النفس الإنسانية مكشوفة لعلم الله لا يحجبها ستار.
- كلمة الله النافذة في الوجود «كن فيكون».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عرض السورة

- القسم على أن منهج محمد ﷺ قويم وشرعه مستقيم: الآيات (١- ٧):

﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧﴾ [يس: ١- ٧].

تبدأ السورة الكريمة بالقسم بياء وسين، والقرآن الحكيم على حقيقة الوحي والرسالة إلى الرسول الكريم. ويجمع في القسم بين الحرفين ليدلل على أن القرآن مصوغ من جنس هذه الأحرف.

ووصف القرآن بالحكمة:

- فهو محكم في نظمه، ومعانيه، وبنائه، ومضمونه، وفحواه، وأنه من عند الله. ليس في نظمه خلل، أو ضعف أو ركاكة، ولا في معانيه خطأ، أو تناقض، أو تنافر.

- وهو ذو حكمة، وينطق بالحكمة، ويربي بحكمة في تصويره للحقائق وتقريبها.

- وهو ذو حكمة في مخاطبة عقل الإنسان وقلبه، وذلك في إيجاز تارة، وفي إطناب تارة أخرى، وبالإجمال في العرض تارة، وبالتفصيل أخرى للتفكر الموصل إلى معرفة الله.

حال المقسم عليه:

اقتضت حكمة الله ألا يدع العباد معطلين عن الأمر والنهي، فكانت الرسالات الإلهية تتوالى على البشرية، ومن هؤلاء المرسلين محمد سيد الأولين والآخرين، الذي تعرفون أمانته وصدقه وعفافه ونقاءه، والقرآن الذي نزل عليه يؤكد أنه رسول رب

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العالمين، أنزله الخالق الرحيم، نور السموات والأرض هو خالقها ونورها بكتابه فجاء بالحق وعرفنا حقيقة الكون، وحقيقة الإنسان ومهمته.

ومهمة محمد ﷺ كبرى. فهو قدوة يدعوك إلى الحق بلسانه وبأفعاله فهو:

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤﴾ فهو المثل الأعلى في الاستقامة، وأنت مأمور بها: «إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين»، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧] وهو الأسوة الحسنة: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١].

أنت مأمور أن تأخذ بأقواله، وأن تتبعه بأفعاله، وتعرفه من خلال سنته وسيرته: ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩﴾ [المؤمنون: ٦٩].

فمعرفة النبي ﷺ لنأخذ من أقواله في الأمر والنهي، ومن أفعاله نأخذ القدوة والمثل الأعلى، فننظر في تواضعه، وحلمه، وعذوبة روحه، وكيف كان مع أزواجه، وأصحابه، وكيف كانت مواعيده، وكلامه، وحياؤه، وشجاعته؟

لقد تربى على: ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٥﴾ الخالق الذي لا ينال جانبه، ويحتاج إليه كل شيء في كل شيء. فالعزة تشير إلى صفة العظمة، والرحمة تشير إلى صفة الكمال، فالله موجود وواحد وكامل، لذا فهو عزيز رحيم، بمعنى أنه قوي لا شريك له، كامل لا ند له.

ومهمة الرسول الكريم هي الإنذار: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾، فالله سبحانه لا يدع عباده دون إنذار، بل يبعث لهم باستمرار من يتلقون عنه توجيهاته وإنذاراته ﴿فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦﴾ عن الحق جل علاه، وغافلون عن هذا التشريع العظيم، وعما ينتظرهم من عذاب أليم، أو عما أعد لهم من نعيم مقيم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشقاوة الكبرى للمكذبين لرسالات الله:

لله سبحانه في الحياة سنن وقوانين، ومبادئ وقواعد تقضي بأن من يكذّب برسالات الله فإنه يشقى في الدنيا والآخرة. ولقد حقت هذه القاعدة على أكثر كفار مكة، وطبقت عليهم.

إن كل من يكذب برسالات الله، ولا يعبأ بها، وينطلق في الحياة وفق شهواته، وأهوائه، ونزواته، سيشقى ويهلك في الدنيا والآخرة: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يونس: ٣٣] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]. لقد حق القول عليهم إذا اتبعوا الشهوات وانحرفوا عن منهج الله، واتبعوا الأهواء، وأعرضوا عن الحق أنهم لا يؤمنون. فالله جل جلاله يبين لنا: إما أن نستجيب لرسالات الله فنسعد في الدنيا والآخرة، وإما أن يحق القول على الإنسان الذي رفض رسالات الله، ورفض منهج الله ﷻ، وسار في الدنيا وفق أهوائه، فيحق القول عليه أنه لا يؤمن، فيدفع الثمن باهظًا.

أحوال الكفار: الآيات (٨ - ١٢):

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ٨- ١٢].

الله جلت قدرته شبه الكفر والشهوات للمكذبين بأنها أغلال وضعت في أيديهم وسحبت إلى أعناقهم فعندئذ رفعوا رؤوسهم وغضوا أبصارهم، فالمقمح من رفع رأسه بسبب تقييد يديه إلى عنقه، وأغمض عينيه، وهو وصف دقيق فيه تشبيه تمثيلي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لحال الكافر الذي رفض الحق واتبع الباطل، ورفض أن يكون العقل رائده فجعل الهوى والشهوة قائده.

- **سبب النزول:** قال ابن إسحاق عن محمد بن كعب: قال أبو جهل وهم جلوس: إن محمد يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكًا، فإذا متم بعثتم من بعد موتكم، وكانت لكم جنانُ خير من جنان الأردُن، وإنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح، ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذبون بها. وخرج عليهم رسول الله ﷺ عند ذلك، وفي يده حفنة من تراب، وقد أخذ الله على أعينهم دونه، «فجعل يذروها على رؤوسهم ويقرأ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ حتى انتهى إلى قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩﴾، وانطلق رسول الله ﷺ لحاجته، وباتوا رُصَدَاء على بابه، حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج الدار، فقال: ما لكم؟ قالوا: ننتظر محمدًا. قال: قد خرج عليكم، فما بقى منكم من رجل إلا وضع على رأسه ترابًا، ثم ذهب لحاجته، فجعل كل رجل منهم ينفض ما على رأسه من تراب، قال: وقد بلغ النبي ﷺ قول أبي جهل فقال: «وأنا أقول ذلك، إن لهم لذبحًا، وإنه أحدهم» السيرة النبوية لابن هشام: (ج ٢) (ص ١٢٤) إن الكفار قد سدت عليهم منافذ الحق فهم مترددون في الضلالات، فجعل الله بينهم وبين الإسلام سدًا فلا يخلصون إليه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ۝٩٧﴾ [يونس: ٩٦- ٩٧].

إن الله قد ختم عليهم بالضلالة فلا يفيد فيهم الإنذار ولا يتأثرون به، إنما ينتفع به المؤمنون الذين يتبعون القرآن، ويخشون ربهم خفية حتى لا يراهم أحد إلا الله، فهؤلاء لهم الثناء الحسن، والثواب الجميل، من مغفرة الذنوب والأجر الكبير.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بعد الموت يُنال الجزاء:

الإنسان إما أن يستجيب لله فيتبع الهدى والرشاد، وإما أن يستجيب للهوى فيتبع الطواغيت من الإنس والجن فيضل عن الطريق.

والموت آت وجميع الخلق إلى فناء ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت.

وبعد الموت يدفع الإنسان ثمن ما قدمت يداه. إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر. قال ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**» رواه مسلم.

وقد كتب الله على العباد آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية، قال قتادة: لو كان الله تعالى مغفلاً شيئًا من شأنك ابن آدم، أغفل ما تعفى الرياح من هذه الآثار، ولكن أحصى على ابن آدم أثر عمله كله، حتى أحصى هذا الأثر فيما هو من طاعة الله، أو من معصيته، فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله فليفعل.

وروى أحمد عن جابر بن عبد الله قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: «**إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد**» قالوا: نعم، يا رسول الله، قد أدرنا ذلك، فقال: «**يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم**» مسلم.

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال: تُوفّي رجل بالمدينة فصلى عليه النبي ﷺ وقال: «إن الرجل إذا تُوفِّي في غير مولده، قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة» ورواه النسائي وابن ماجه بإسناد صحيح.

وجميع الكائنات مكتبو في كتاب مسطور، مضبوط في لوح محفوظ بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوا: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾. ﴿وَوُضِعَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

أصحاب القرية: الآيات (١٣ - ١٩):

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يس: ١٣- ١٩].

أبهم الله ﷻ اسم القرية لحكمة يعلمها، فربما لو ذكر اسمها وموقعها وزمانها وأسماء أصحابها لظن الناس أنها وقعت مرة واحدة، والله أراد أن يجعلها نموذجًا متكررًا.

أصحاب هذه القرية: شأنهم شأن الكفار الذين عميت بصائرهم عن الحق فكذبوا الرسل، أرسل الله إليهم رسولين، فكذبهما أهل تلك القرية فعززهما الله برسول ثالث يؤكد أنه وأنهما رسل من عند الله، وتقدموا ثلاثتهم بدعوتهم فقالوا: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾. فكان جوابهم جواب المشركين دائمًا: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ وإذا كان النبي بشرًا، يأكل كالبشر ويجوع ويشبع، ويعطش ويرتوي، ويتعب ويعرق، ويحس بالحر وبالبرد، ويأوي إلى الظل، ويتزوج، وتجري عليه خصائص البشر، فهل هذا مما يُنقص قدره؟!

فالنبي لن يكون عظيمًا إذا لم يكن بشرًا.

وقالوا: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾ فكذبوهم وأنكروا ما بعثوا به، وجحدوا بما أنزل إليهم، فكان جواب الرسل: ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله يعلم صدقنا وكفانا بذلك رحمة وطمأنينة. ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ ليس علينا سوى النصيحة فحسب، فنبين الخطأ بالدليل ونوضح حكم الله ﷻ. أما أن نلقي الهدى في قلب إنسان، فهذا شيء فوق طاقة البشر، وليس ذلك في إمكان الأنبياء: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

وكان موقف الكفار من كلام رسلهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي تشاءمنا منكم، ونتوقع الشر من دعوتكم، فإن لم تنتهوا عنا فإننا لن نسكت عليكم، ولن ندعكم في دعوتكم: ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾، ولكن الواجب الملقى على عاتق الرسل يقضي عليهم بالمضي في الطريق: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ فالقول بالتشاؤم خرافة من الخرافات السائدة في المجتمعات الجاهلية. والرسل وظيفتهم التوضيح لهذه الخرافات، وتلك الزعبلات، ونصيب الإنسان من الخير أو الشر لا يأتيه من خارج نفسه، إنما هو مرتبط بالنوايا والأعمال. فإرادة الله بالعبد تنبع من خلال نفسه وعمله، وهو يحمل طائره معه. أما التشاؤم بالأماكن أو الوجوه، أو الكلمات، فهي خرافة لا أصل لها.

وقالوا لهم: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ أيكون هذا جزاؤنا أن ترجمونا وتعذبونا؟ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ تتجاوزون الحدود، على الموعظة بالتهديد والوعيد، وتردون على الدعوة بالرجم والتعذيب!

استجابة الفطرة السليمة: الآيات (٢٠ - ٢٩):

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يس: ٢٠- ٢٩].

قال ابن إسحاق فيما نقله عن ابن عباس: إن أهل القرية هموا بقتل رسلهم فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى لينصرهم من قومه، ويأمرهم بإتباع الرسل الذين يدعونهم إلى عبادة الله الواحد.. ويسألهم ما الذي يمنعنا من إخلاص العبودية للذي خلقنا، والذي إليه مرجعنا فيحاسبنا على جميع أعمالنا؟ إن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا تملك من الأمر شيئًا. فإذا أرادنا الله بسوء فلا كاشف له إلا هو، وتلك الأصنام لا تغني ولا تنقذ إن اتخذناها آلهة من دون الله. إني آمنت بربكم الذي كفرتم به، فاسمعوا قوله. فكان جزاؤه أن وطئوه بأقدامهم، وركلوه بأرجلهم حتى استشهد، فلما رأى الثواب الذي أعده الله له في الجنة، وعاين من كرامة الله، تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من الأجر والمثوبة والكرامة عند مولاه، فلقد كان ناصحًا لقومه في حياته لا غاشا لهم، وأحب لهم الخير بعد وفاته، لأنه ما نال تلك الدرجات إلا بإيمانه بربه، وتصديقه للمرسلين.. وكأنه يقول: لو اطلعوا على ما حصل لي من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل، لقد كان حريصًا على هداية قومه.

جزاء قومه:

لقد انتقم الله من قومه بعد قتلهم إياه، غضبًا منه تعالى عليهم، لأنهم كذبوا رسله، وقتلوا وليه، وما احتاج الله في إهلاكهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم - لهوانهم عليه- ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ فبادوا عن وجه الأرض، فلم يبق منهم باقية، أرسل عليهم جبريل، فأخذ بعضادتي باب بلدهم، ثم صاح بهم صيحة واحدة، فإذا هم خامدون عن آخرهم لم تبق فيهم روح تتردد في جسد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التعميم في موقف المكذبين بكل ملة ودين: الآيات (٣٠ - ٣٢):

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ﴾ [يس: ٣٠- ٣٢].

الآيات تعرض صورة البشرية الضالة على مدار القرون، وينادي على العباد نداء الحسرة وهم لا يتعظون بمصارع الهالكين، الذاهبين أمامهم ولا يرجعون إلى يوم الدين، ثم يلفت نظرهم إلى الآيات الكونية التي يمرون عليها معرضين غافلين، وهي مبثوثة في أنفسهم، وفيما حولهم، وفي تاريخهم القديم، وهم لا يشعرون، وإذا ذكروا لا يذكرون، وهم يستعجلون بالعذاب غير مصدقين. والله ينبئهم أن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله جل وعلا فيجازيهم بأعمالهم كلها، خيرها وشرها ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ﴾ [هود: ١١١].

كل الوجود يتحدث عن الله: الآيات (٣٣ - ٣٦):

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦﴾ [يس: ٣٣- ٣٦].

كل ما في الوجود يشهد بوجود الله. فالأرض نراها ميتة، ثم ينزل عليها الماء فتهتز وتربو، وتزدان بالجنات من نخيل وأعناب، وتبث فيها روح الحياة فتنبت من كل زوج بهيج، رزقًا للعباد والدواب والأنعام، وجعل فيها أنهارًا سارحة، يحتاجون إليها ليأكلوا من ثمره بأنواعها المختلفة، وأشكالها المتعددة، وما ذاك إلا من رحمة الله بهم، لا بسعيهم ولا كدهم، ولا بحولهم وقوتهم.. إن رؤية الزرع النامي، والجنان الوارفة، والثمر اليانع ليفتح القلب على قدرة الله المبدعة، وهي تشق التربة عن النبتة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الباسقة وتنضر العود المستشرف للشمس والضياء، وتزين الغصن اللدن بالورق والثمار، وتفتح الزهرة، وتنضج الثمرة، وتهيئها للجني والقطاف. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

والزوجية في القرآن آية ناطقة بعظمة الله فهي تدل على ظاهرتين: التنوع، والتوحد، فملايين البشر لو دققت في ألوان الوجوه لرأيت أن كل واحد له لون لا يشاركه فيه آخر، وكل إنسان له لون خاص بقزحية عينه، ورائحة خاصة، وله بصمة يتميز بها، وله نبرة صوت يتميز بها، وله تركيب لدمه لا يشترك مع تركيب دم آخر ولكل إنسان بنية نسيجية، هذه كلها أشياء منوعة. فالناس مخلوقون وفق بنى واحدة، فمن اسم الله الواحد تحس أن في الكون وحدة، ومن اسمه الواسع تحس أن في الكون سعة، وتنويعًا كبيرًا، ونظام الزوجية مما يؤكد وحدة الخالق. كل شيء في الكون أساس وجوده النظام الزوجي، وأوضح ما يكون في البشر ونظام الذرة قائم على الزوجية. فالذرة أصغر وحدة وظيفية، وليست وحدة بنيوية، ففيها إلكترون سالب، وموجب، وفيها مدارات، ونظام الزوجية في المجرات أيضًا، فهناك كواكب مزدوجة تترافق بعضها مع بعض، وتأبير النخل عملية مزاوجة، والآن في مخابر أرقى شركات البذور يتم التلقيح باليد، فهناك نبات مؤنث ولآخر مذكر، والتلقيح يتم تارة عن طريق النحل، ربما كانت وظيفته الأولى تلقيح النباتات، وتارة عن طريق الرياح، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]. فنظام الزوجية في الإنسان وفي النبات وفي الحيوان، وفي الجماد ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]. إذا في الكون وحدة تدل على خالق واحد يتضح قانونه في كل خلقه ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾!

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خلق الليل والنهار من دلائل القدرة الإلهية: الآيات (٣٧ - ٤٠):

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٣٧- ٤٠].

تكرر قدوم الليل والنهار يدع العاقل على التأمل والتفكير، فالأرض كروية في دورتها حول نفسها في مواجهة الشمس، تمر كل نقطة فيها بالشمس، فإذا هذه النقطة نهار، حتى إذا دارت الأرض وانزوت تلك النقطة عن الشمس، انسلخ منها النهار، ولفها الظلام. وهكذا تتوالى هذه الظاهرة على كل نقطة بانتظام، وكأنها نور النهار ينزع أو يسلخ فيحل محله الظلام. ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾.

- **الشمس:**

والشمس ليست مستقرة في مكانها، إنما هي تجري في اتجاه واحد في الفضاء بسرعة اثني عشر ميلا في الثانية، وحجم الشمس يبلغ نحو مليون ضعف لحجم أرضنا هذه، وهذه الكتلة تتحرك وتجري في الفضاء، لا يسندها شيء: ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ فحركة الشمس حول مركز المجرَّة، والشمس لها مستقر نهائي، وعمر الشمس ما يُقارب ٦٠٤ مليار سنة ضوئية، والشمس في منتصف عمرها تقريبًا، وفي نهاية عمرها تنتهي حياة الشمس نجمًا مشعًّا ثم تتحول إلى نجم فقد طاقته كلها، مما يعني أن الشمس تجري لمستقر لها.

- **القمر:**

القمر يولد هلالاً، ثم ينمو ليلة بعد ليلة، حتى يستدير بدرًا، ثم يأخذ في التناقص حتى يعود هلالاً مقوسًا، كالعرجون القديم وهو العذق الذي يكون فيه البلح من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النخلة.. فالقمر في لياليه الأولى هلال، وفي لياليه الأخيرة هلال.. ولكنه في الأولى يبدر وكأن فيه نضارة وفتوة، وفي الأخير يطلع وكأنما يغشاه سهوم ووجوم.. ولكل نجم أو كوكب فلك، أو مدار لا يتجاوزه، والمسافات بين النجوم والكواكب شاسعة، فالمسافة بين الأرض والشمس تقدر بنحو ثلاثة وتسعين مليونًا من الأميال، والقمر يبعد عن الأرض بنحو أربعين ومائتي ألف من الأميال، وهذه المسافات على بعدها ليست شيئًا يذكر حين تقاس إلى بعد ما بين مجموعتنا الشمسية وأقرب نجم من نجوم السماء الأخرى إلينا، هو يقدر بنحو أربع سنوات ضوئية، وسرعة الضوء تقدر بستة وثمانين ومائة ألف من الأميال في الثانية الواحدة. وقد صمم هذا الكون حتى لا يقع فيه تصادم أو تصدع، فلا ينبغي للشمس أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، لأن الدورة لا تختل أبدًا: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾. والعجب كل العجب من هذه الملايين السيارة متناثرة في ذلك الفضاء، وهو من حولها فسيح، وأحجامها الضخمة متناثرة تائهة. فسبحان من يمسكها ويسيرها بعلمه وحكمته.

تسخير البحار لحمل السفن: الآيات (٤١ - ٤٤):

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ [يس: ٤١- ٤٤].

وتدليلاً على قدرة الله تعالى تسخير البحر ليحمل السفن، وفي هذا برهان على أن الله وحده هو المعبود، لأن المنعم بالنعم، الصارف للنقم، الذي من جملة نعمته: ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي آباؤهم، وحملناهم بأنفسهم لأنهم من ذرية آدم ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ففي البحر السفن، وفي البر الجمال والخيول والبغال والحمير ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٨]. فدخلت في هذه الفقرة الأخيرة من الآية كل المركبات، كهذه السيارات، والقطارات،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والطائرات والصواريخ على اختلاف أنواعها.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ في البحر، أو نسقطهم في الجو، أو نصدمهم في البر ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ فمن ركب مركبة فهو برحمة الله ولطفه. إن شاء أنجاه ربه، وإن انتهى الأجل يجد الموت على أتفه الأسباب.

إن الطبيب له علم يدل به ** إن كان للناس في الآجال تأخير

حتى إذا ما انتهت أيام رحلته ** حار الطبيب وخانته العقاقير

التمادي في الغي وعدم الاكتراث بالذنوب: الآيات (٤٥ - ٤٦):

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ [يس: ٤٥- ٤٧].

للمعرضين عن الله سبحانه شبهات يتعلقون بها حين يُدْعَون اتقاء عذاب الدنيا بطاعة الله، واتقاء عذاب النفس بالتوحيد، واتقاء الكفر بالإيمان واتقاء العذاب بالعمل الصالح، فهذه دعوة حتى لا تكون: ذليلاً، متألمًا، قلقًا، هائمًا على وجهك، معذبًا، مشتتًا، اتق كل عذاب في الدنيا مادي أو معنوي لتنجو من عذاب الآخرة. ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ فرحمة الله خير مما يجمعون، لأن الذي يجمعه في الدنيا لا يأخذه في الآخرة. وكأن الله ﷻ يقول: يا عبادي أنا أرحمكم في الدنيا بحياة هانئة مستقرة، هادئة مطمئنة، فيها رضا وسرور، وأرحمكم في الآخرة بجنة عرضها السموات والأرض، وثمرة هاتين الرحمتين مجتمعتين: أن تتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم بأن تطيعوني ولا تشركوا بي شيئًا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. فاتق المحارم تكن أعبد الناس، فأدق مقياس لنجاح الإنسان هو طاعة الله ﷻ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والذين امتلأت نفوسهم بالسهرات الخبيثة انصرفوا عن الله ﷻ بسبب معاصيهم، وضربت حجاما بينهم وبينه ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ فحين يعرض الإنسان عن مولاه تصبح الشهوات كالأغلال التي تقيده وتعطل حركته، وتُعمي بصيرته، فإذا هو في عمى عن سعادة الدنيا والآخرة.

المسلم يعين أخاه المسلم، ويدفع فقره، وضعفه، وجهله، فإن له ربا لن ينساه، ولكن ابتلاك الله بالمال كما ابتلاه بالفقر والحاجة، فأمرك أن تعطيه، وهذا امتحان بالإنفاق وهو قد امتُحن بالفقر، فأمره الله بالصبر، فحكمة الله لا يلغيها التكليف، ولا التكليف يُلغي حكمة الله، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾.

وعد الله لا يُقدَّم ولا يؤخر: الآيات (٤٨ - ٤٩):

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يس: ٤٨- ٤٩]. وعد الله لا يقدم لاستعجال بشر، ولا يستأجر لرجائهم في تأخيره، فالأمور تقع في مواعيدها وفق حكمته التي تضع كل شيء في مكانه، ورد السؤال يأتي فيما بعد.

استبعاد الكفار قيام الساعة: الآيات (٥٠ - ٥٤):

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس: ٥٠- ٥٤].

في الآية السابقة كان الكفار يستفهمون استفهامًا إنكاريًا استهزائيًا عن وقوع الساعة، وهم يستبعدون وقوعها، ولكن يأتي الجواب وهو: صيحة تصعق كل حي،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتنهي بها الحياة والأحياء، إنها صيحة تأخذهم بغتة وهم في جدالهم وخصامهم في الحياة، لا يتوقعونها ولا يحسبون لها حسابا، فإذا هم منتهون، كل على حاله التي هو عليها، لا يملك أن يوصي بمن بعده، ولا يملك أن يرجع إلى أهله.

ثم ينفخ في الصور فإذا هم ينتفضون من القبور، ويمضون سراعًا وهم في دهش وذعر يتساءلون ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا﴾؟ ثم تزول الدهشة قليلاً، فيدركون ويعرفون: ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٢﴾. ثم إذا الصيحة الأخيرة صيحة واحدة، فإذا هذا الشتيت الحائر المذهول المسارع في خطاه المدهوش يثوب ﴿فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ﴾ وتنتظم الصنوف، ويتهيأ الاستعراض، وإذا القرار العلوي في طبيعة الموقف والحساب يعلن على الجميع: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٥٤﴾ وفي هذا رد على الشاكين المرتابين في يوم الدين.

بإيجاز: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهي نفخة الفزع.

ينفخ في الصور نفخة الفزع والناس في أسواقهم ومعايشهم يتشاجرون ويختصمون على عادتهم.. بينما هم كذلك إذ أمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ في الصور نفخة يُطوّلها ويمدها. فلا يبقى أحد إلا أصغى يتسمّع الصوت من قبل السماء. ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار، تحيط بهم من حولهم ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ﴾ على ما يملكونه ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٥٠﴾ ثم تكون بعد ذلك نفخة الصعق التي تموت بها الأحياء جميعًا ما عدا الحي القيوم، ثم بعد ذلك نفخة البعث والنشور، للقيام من الأجداث والقبور، فلما عاينوا ما كذّبوا ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا﴾ فيجيبهم المؤمنون والملائكة: ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٢﴾ ويكون الأمر: فإذا هم محضرون، ويكون النداء الإلهي: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٥٤﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أهل الجنة: الآيات (٥٥ - ٥٨):

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٥- ٥٨].

يخبر تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العرصات، فنزلوا في روضات الجنات، أنهم في شغل عن غيرهم، بما هم فيه من النعيم المقيم، والفوز العظيم. وهم متلذذون متفكهون، وإنهم لفي ضلال مستطابة يستروحون نسيمها، وعلى الأرائك متكئين في راحة ونعيم هم وأزواجهم لهم فيها فاكهة ولهم ما يشتهون وما يشاؤون، وفوق اللذائذ التأهيل والتكريم: ﴿سَلَٰمٌ﴾ يتلقونه من رب كريم: ﴿قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

التبكيت والتنكيل لأهل النار: الآيات (٥٩ - ٦٨):

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: ٥٩- ٦٨].

يخبر المولى سبحانه عما يؤول إليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا، فيميزون ويفترقون عن المؤمنين في موقفهم، وينعزلون بعيدًا عنهم ويأتي التقريع من الله للكفرة من بني آدم الذين أطاعوا الشيطان الذي لم يسجد لأبيهم، وهو لهم عدو مبين، وعصوا الرحمن الذي خلقهم ورزقهم، لقد أمرتكم في دار الدنيا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بعصيان الشيطان، وأمرتكم بعبادتي، فسلكتم غير ذلك، واتبعتم الشيطان فيما أمركم به، وقد أضل منك أجيالاً كثيرة، أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له، وعدو لكم إلى إتباع الشيطان؟!

أنظروا عيانًا إلى جهنم:

هنا تنزعج منهم القلوب، وتزوغ الأبصار، ويحصل الفزع الأكبر، ثم يؤمر بهم إلى النار، فيصطلون بحرها ويبلغ منهم العذاب كل مبلغ بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم لرسوله، ووصفهم شنيع فظيع في دار الشقاء، فيخرسهم الله فلا يتكلمون، ولا يقدرون على إنكار ما عملوه من الكفر والتكذيب، فتشهد عليهم أعضاؤهم بما عملوا، وينطقها الذي أنطق كل شيء وتفكك شخصيتهم مزقا وآحادًا، يكذّب بعضها بعضًا، وتعود كل جارحة إلى ربها مفردة، ويثوب كل عضو إلى بارئه مستسلمًا، فألسنتهم معقودة، وأيديهم تتكلم، وأرجلهم تشهد، على غير ما كانوا يعهدون. ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾.

عن أنس بن مالك قال: كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: «أتدرون مم أضحك؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول: رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أجيز على إلا شاهدًا من نفسي، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، فيختم على فيه، ويقال لأركانه: أنطقي، فتنطق بعمله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعدًا لكن وسحقا، فعنكن كنت أناضل**» رواه مسلم والنسائي.

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ في حديث القيامة الطويل، قال فيه: «**ثم يلقى الثالث فيقول: ما أنت؟ فيقول: أنا عبدك، آمنت بك ونبيك وبكتابك، وصمت وصليت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، قال: فيقال له: ألم تبعث عليك شاهدنا؟**

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: فيفكر في نفسه، من الذي يشهد عليه، فيختم على فيه، ويقال لفخذه: أنطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل، وذلك المنافق، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك الذي سخط الله عليه» مسلم وأبو داود.

وروى ابن أبي حاتم عن عقبة بن عامر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول عظم الإنسان يتكلم يوم يُختم على الأفواه فخذه من الرجل اليسرى أو الشمال**» مسند أحمد.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

بلاء، وسخرية واستهزاء، فالسخرية بالمكذبين، والاستهزاء بالمستهزئين، الذين كانوا يقولون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الملك: ٢٥].

فهم عميان يترددون، فلا يبصرون الحق، وفي الآخرة مع عماهم يستبقون الصراط ويتزاحمون على العبور، ويتخبطون تخبط العميان حين يسارعون متنافسين ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾. وقد طمسنا أعينهم؟

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

لقد جمدوا فجأة في مكانهم، واستحالوا تماثيل لا تمضي ولا تعود. بعد أن كانوا عميانا يتسابقون ويضطربون، فأصبحوا في حال تثير السخرية والاستهزاء، وقد كانوا من قبل يستهزئون، ويستخفون بالوعيد.

الضعف والعجز للذين طالت أعمارهم:

أخبر الله عن هذه الدار بأنها إلى زوال وانتقال، لا دار دوام واستقرار. لعل الناس يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم إلى سنّ الشيبة، ثم إلى الشيخوخة، ليعلموا أنهم خلقوا لدار أخرى لا زوال لها، ولا انتقال منها، ولا محيد عنها، وهي الدار الآخرة:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ فإن ابن آدم كلما طال عمره ردّ إلى الضعف بعد القوة، والعجز بعد النشاط: ﴿۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم: ٥٤]. ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥]. فالشيخوخة: خرف ومنكسة في الشعور والتفكير ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾.

قضية الوحي وطبيعته: الآيات (٦٩ - ٧٠):

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: ٦٩- ٧٠].

الآيات ترد على المدعين بأن رسول الله ﷺ شاعر، وأن ما جاء به شعر. والكبراء من المكذبين يستطيعون التفريق بين الشعر والقرآن، ولكنها حرب الدعاية ضد الرسول والرسالة أرادوا صرف الجماهير عن الرسالة والرسول.

التفريق بين الشعر والنبوة:

الشعر: أشواق إنسانية إلى الجمال والكمال، مشوبة بقصور الإنسان وتصوراته المحدودة بحدود مداركه واستعداداته.

وفي هبوطه من صوره العالية: هو انفعالات ونزوات تهبط حتى تكون صراخ جسد، وفورة لحم ودم.

وفي أعلى صوره: أشواق تصعد من الأرض.

- هل الرسول كان شاعرًا؟ يجيب ربنا سبحانه وتعالى فيقول: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾ فما هو في طبعه، ولا يحسنه ولا يحبه، ولا تقتضيه جبلته. وثبت في الصحيحين أنه ﷺ تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة ولكن تبعًا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لقول أصحابه، فإنهم كانوا يرتجزون فيقولون:

لا هـمَّ لـولا أنـتَ مـا اهتـدَينا ** ولا تصـدَّقنا ولا صـلَّينْا

فـأنزلن سـكينة علينـا ** وثبـت الأقـدام إن لاقينـا

إن الألى قـد بغـوا علينـا ** إذا أرادُوا فتنـةً أبينـا

ويرفع صوته بقوله: أبيْنا ويمدّها - البخاري ومسلم.

وكذلك ثبت أنه قال يوم حنين وهو راكب البغلة، يُقدم بها في نحور القوم:

أنـا النبـي لا كـذب ** أنـا ابـن عبـد المطلـب

(البخاري ومسلم)

لكن هذا وقع اتفاقًا من غير قصد لوزن الشعر، بل جرى على اللسان من غير قصد إليه.

وكذلك ما ثبت في الصحيحين عن جُندب بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غار فنكبت أصبعه فقال:

هـل أنـت إلا إصْـبَعٌ دَميـت ** وفي سـبيل الله مَـا لقيـت

وكل هذا لا ينافي كونه ما عُلِّم شعرًا، ولا ينبغي له، فإن الله تعالى علمه القرآن العظيم. وليس هو بشعر كما زعمه الجهلة من كفار قريش، ولا كهانة، ولا مفتعل، ولا سحرٌ يؤثر كما تنوّعت فيه أقوال الضلال، وآراء الجهال، وقد كانت سجيته تأبى صناعة الشعر طبعًا وشرعًا.

روى الإمام أحمد عن أبي نوفل قال: سألت عائشة: أكان رسول الله ﷺ يتسامع عنده الشعر؟ فقالت: كان أبغض الحديث إليه. وقال عن عائشة،: كان رسول الله ﷺ يعجبه الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وروى أبو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا» البخاري ومسلم. والمراد بذلك إنشاده لا نظمه.

هل من الشعر ما هو مشروع؟

نعم الشعر الذي يقوم على هجاء المشركين مثل الذين كان يتعاطاه شعراء الإسلام، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة وأضرابهم.

ومن الشعر ما فيه حكم ومواعظ وآداب، وحماسة، وإشادة بالفضائل ونهي عن الرذائل.

وقد وُجد في شعر جماعة من الجاهلية، وأنشد بعض الصحابة منه للنبي ﷺ مائة بيت، يقول عقب كل بيت: «هيه» يعني يستطعمه فيزيده من ذلك- رواه مسلم.

وقد روى أبو داود من حديث أبي بن كعب، وعبدالله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن من البيان لسحرًا، وإن من الشعر حكمًا» أبو داود.

النبـوَّة:

إن الشعر له منهج غير منهج النبوة؛ لأنه انفعال وتعبير عنه، وهو يتقلب من حال إلى حال.

والنبـوة: وحي على منهج ثابت، على صراط مستقيم، يتبع قانون الله الثابت الذي يحكم الوجود كله. ولا يتبدل ولا يتقلب مع الأحوال الطارئة. تقلب الشعر مع الانفعالات المتجددة التي لا تثبت على حال.

ما علمه الله للنبي: ما علَّمه الله شِعرًا ولا يصْلُح له، إنما علمه ذكر وقرآن مبين، بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره. وهما صفتان لشيء واحد: ذِكرٌ بحسب وظيفته، وقرآن بحسب تلاوته.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهو ذكر لله يشتغل به القلب، وهو قرآن يتلى ويشتغل به اللسان.

وظيفة القرآن: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

الكفر: مقابل الحياة. فجعل الكفر موتا، واستعداد القلب للإيمان: حياة. فالقرآن ينذر من كان به حياة، فيفيد فيهم الإنذار. والكفار موتى، لا يسمعون ولا ينتفعون بالنذير.

وبذلك يكون قد سجل عليهم استحقاقهم للعذاب ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾.

الناس أمام القرآن فريقان: فريق يستجيب فهو حي. وفريق لا يستجيب فهو ميت، وهذا هو الذي حق عليه القول وحق عليه العذاب. هو رحمة للمؤمن وحجة على الكافر.

قضية الألوهية والتوحيد: الآيات (٧١ - ٧٦):

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [يس: ٧١- ٧٦].

آيات الله مشهودة منظورة، ليست غائبة عنهم ولا ببعيدة، فلقد أنعم عليهم بهذه الأنعام التي شهرها لهم، بل وقهرها لإرادتهم حتى أصبحت ذليلة لهم، لا تمتنع منهم، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه، ولو شاء لأقامه وساقه، وذاك ذليل منقاد معه، ولو بلغ مائة بعير أو أكثر لسار الجميع بسير صغير. ومن تسخير هذه الأنعام ما يركبون في الأسفار، ويحملون عليها الأثقال، إلى سائر الجهات والأقطار. وإذا شاؤوا نحروا واجتزروا، وانتفعوا بالأصواف، والأوبار، واتخذوا منها ومن شعرها أثاثًا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومتاعًا إلى حين، وشربوا من ألبانها، وأكلوا من لحمها وأجبانها وسمنها. أفلا يوحدون خالق ذلك ومُسَخِّره، ولا يشركون به غيره؟!

وتعود حياتهم تسبيحًا لله وحمدًا، وعبادة آناء الليل، وأطراف النهار.

ولكن الناس لا يشكرون، فمنهم من اتخذ مع الله آلهة من دونه، في الماضي كانت الآلهة أصنامًا وأوثانًا، أو حجرًا أو نجومًا، أو ملائكة أو جنًا.. ولكن قد يتمثل الشرك اليوم في الإيمان بقوى زائفة غير قوة الله تعالى، وفي اعتمادهم على إسناد أخرى غير الله، والشرك ألوان تختلف باختلاف الزمان والمكان.

وقد أنكر الله على المشركين اتخاذهم الأنداد مع الله، يبتغون بذلك أن تنصرهم وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى، ولم يعلموا أن هذه الآلهة لا تقدر على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك، وأقل، وأذل، وأحقر، وأدحر، بل لا تقدر على الانتصار لأنفسها، ولا الانتقام ممن أرادها بسوء، لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل، وهي ستحشر يوم القيامة مجموعة محضرة عند حساب عابديها، ليكون ذلك أبلغ في خزيهم. وأدل في إقامة الحجة عليهم.

والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيرًا، ولا تدفع عنهم سوءًا. لذلك قال الله لرسوله ﷺ: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ أي، تكذيبهم لك، وكفرهم بالله فنحن نعلم جميع ما هم عليه، وسنجزيهم وصفَهم، ونعاملهم على ذلك، يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلاً ولا حقيرًا، ولا صغيرًا ولا كبيرًا، بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديمًا وحديثًا.

البعث والنشور: الآيات (٧٧ - ٨٣):

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٧٧- ٨٣].

يأتي الدليل من قبل الله ﷻ على منكري البعث، بأن الذي بدأهم من العدم قادر على إعادتهم. فقد ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير، من نطفة من أخلاط متفرقة، فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة قادر على إعادته بعد موته، كما روى الإمام أحمد عن بُسر بن جحاش أن رسول الله ﷺ بصق يومًا في كفه، فوضع عليها أصبعه ثم قال: «قال الله تعالى: ابن آدم، أنّى تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سوّيتك وعدلتك، مشيت بين يرديك وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة» ابن ماجه، إسناده صحيح، ورجاله ثقات، وحسنه الألباني.

سبب النزول:

أ- جاء أبي بن خلف إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يُفتُّه ويذريه في الهواء، وهو يقول: يا محمد، أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فقال: «**نعم، يميتك الله ثم يبعثك، ثم يحشرك إلى النار**» ونزلت هذه الآيات من آخر يس.

ب- وعن ابن عباس: أن العاص بن وائل أخذ عظما من البطحاء ففتّه بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: «أيحيي الله تعالى هذا بعد ما أرى؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، يميتك الله ثم يحييك، ثم يدخلك جهنم» قال ونزلت الآيات من آخر يس. وعلى كل تقدير سواء نزلت في أبي بن خلف، أو العاصي بن وائل، أو فيهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث واستبعد قدرة الله تعالى على إعادته للأجسام والعظام

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرميمة، ونسى نفسه، وأن الله خلقه من العدم، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده، ونسى أن الله يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت، وأين تفرقت وتمزقت. إن الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرًا يانعًا ذا ثمر، ثم أعاده إلى أن صار حطبًا يابسًا، توقد به النار، كذلك هو فعال لما يشاء قادر على ما يريد، لا يمنعه منه شيء، فالذي أخرج هذه النار من هذا الشجر، قادر على أن يبعثه.

والله يقول منبهًا على قدرته العظيمة في خلق السموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة، والثوابت، والأرضيين السبع وما فيها من جبال ورمال وكنوز ومناجم، وبحار وقفار، وما بين ذلك، أن يعيدهم كما بدأهم بأمر واحد دون احتياج إلى تكرار.

روى الإمام أحمد عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يقول: يا عبادي كلكم مذنب إلا من عافيت، فاستغفروني أغفر لكم. وكلكم فقير إلا من أغنيت، إني جواد ماجد واحد أفعل ما أشاء، عطائي كلام، وعذابي كلام، إذا أردت شيئًا فإنما أقول له كن فيكون**» إسناده حسن.

نزه الله تبارك وتعالى نفسه وتقدس، وتبرَّأ من السوء الحي القيوم، الذي بيده مقاليد السموات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله، وله الخلق والأمر، وإليه يرجع العباد يوم المعاد، فيجازى كل عامل بعمله، وهو المنعم المتفضل فالملك والملكوت قبضته، فسبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب